سلفادور دالي بريشة كاتب المقال

« O Salvador Dali à la voix olivée ! Je ne vante pas
Ton imparfait pinceau d'adolescent, ni ta couleur qui
courtise la couleur du temps .
Je chante ton angoisse, O limité, limité eternel »

. . . . . .

« O Salvador Dali a la voix olivée ! Je dis ce que me disent
ta personne et tes tableaux
Je ne loue pas ton imparfait pinceau d'adolescent
mais je chante la parfaite direction de tes flèches.»
F. G. Locra (Ode à Salvador Dali) (1)

سلفادور دالي...

بقلم فاروق سعد

اذا كان « سلفادور دالي » يستطيع ان يروي التفاصيل الدقيقة عن حياته « قبل ميلاده » فاننا لا نستطيع ان نعترف الا بحياته منذ ميلاده في « فيغوراس Figuras » احدى القرى الاسبانية ، ١٣ ايار سنة ١٩٠٤ .. اما ذلك الجانب من حياة « قبل ميلاده » فاننا نحيله الى علماء النفس اذ سيجدون فيه مادة رحبة لتجاربهم ودراساتهم عن العقل الباطن والاحلام وربما عن امور اخرى !..

في « حياتي الغامضة » Ma vie secrète عرض لنا « دالي » معلومات مختلفة عن حياته ونفسيته في شبابه ، ما كان لنا امكانية معرفتها لولا تلك الترجمة الذاتية التي سلطت اضواء على حياة فنان لا زالت تصرفاته وفنه لغزا امام نقاد الفن العاصر .

اصبحنا نعرف شيئا عن عصبية « دالي » في طفولته .. تلك العصبية التي كانت تصل به الى درجة الهستيريا وكانت تنعكس في اعتزاله عن العالم الخارجي وخلوده الى التفكير ... كان تفكيره ينصرف الى ايجاد الطريقة التي يستطيع التصرف بها تجاه الاخرين : اي وضعية يمكن ان يتخذها تجاه اقربائه واي سلوك يمكن ان يسلكه تجاه الفتيات! كان يشعر بدافع مجهول يدفعه الى هذا التساؤل وكان يجد منتجعا لذلك امام طاحونة قديمة في القرية يذهب اليها كل صباح ويظل الساعات الطوال يجيل طرفه بين المروج المنبسطة امامه وكانه ينتظر حضور (او استحضار) شيء ما من داخله او كانه ينتظر حضور شخص ما .. دون كيشوت مثلا .

لقد اعطت هذه العزلة « دالي » متعا نفسية ، وهل من متعة اكثر من « الخيال الذي يجعله وكانه يسود العالم » « ففي الاقتراب من الخيال فقط ، في تلك النقطة التي يفقد فيها عقل الانسان مراقبته يكون كل الحظ في اظهار التأثير الاكثر عمقا للكائن » ... ولكن العزلة لم تعط « دالي » الجواب على تساؤله !.. لماذا لايهاجم فقد يجد الجواب.ويدخل دالي مسرح المجتمع ليقف دائما وراء الستار يمد رجله ويرفس شقيقته في ممر مظلم فتصيح المسكينة هلعا وتفر لاتلوي على شيء .. وحينما يخرج دالي من وراء الستار لايجد بدا من ضرب رفاقه عمدا .. لم يكن يعرف سبب تصرفاته هذه انما كان يعرف انه يهاجم !..

وعرض « لدالي » حل ثالث : ولم لايحطم العلاقات المألوفة بين « الاشياء » .. لم لايجعل علاقته مع الاشياء علاقة مجردة « ليخفي شخصيته الحقيقية » وليمثل تلك « المهزلة » ؟ سيثير الانتباه ثم يثير الدهشة .. فهي شيء ممتع .. ولكن لابد من الحرية للوصول الى هذا الشيء المتع ..

وكان « دالي » يحس ان في داخله شيئا ما يريد اخراجه .. شيئا يسمع صريره في « صندوقة » عقله الباطن ... هل هو امتاع معدته ؟ ام هو حبه لجارته الصغيرة التي تعلق صورة « نابليون » في غرفتها .. تلك الصورة التي كان يختلس النظر اليها دائما ، لطالما تمنى ان يدفع بهذا الرجل منها ليقف محله ويداه خلف ظهره !. لم يكن الحب ذلك الشيء ولم يكن امتاع المعدة فهما امران سيأتيان فيما بعد عندما يتزوج « جالا » مطلقة صديقه الشاعر « بول ايلوار » ولا يجد حرجا من ان يرسمها مع « الكستلاته » في لوحة واحدة . كان هذا الشيء « جنون العظمة » وكان دالي يعنيه اذ يقول : «في السادسة من عمري كنت اريد ان اصبح

(١) Collection «Poètes d'aujourd'hui» No. 7 (Seghers)
(٢) Edit : Latable Ronde

طباخا ! وفي السابعة نابوليون ... ومنذ ذلك الحين لم يكف طموحي عن النمو مثل جنون العظمة ـ عندي » ـ اذا كانت ثقة « بيكاسو » الذي تمكن من فنه ومن شهرته جعلته يجيب على دالي عندما جاء بعد سنوات الى باريس بانه كان محقا لانه زاره قبل زيارة « اللوفر » فان دالي لم يكن قد وصل شأوه قبل ذلك الحادث بعدة سنوات عندما كان في السنة الاخيرة في اكاديمية الفنون الجميلة في مدريد ليجيب على اساتذته الذين سألوه سؤالا كان يتوقعه « انني اذكى منكم لدرجة انني ارفض ان امتحن» ولم ينل دالي شهادة الدراسة في فن التصوير .

انه يعرف رأي الغير فيه منذ رسم لوحته الاولى على باب قديم ركزه على كرسيين في منزله في فيغوراس . ان الاقرباء والجيران الذين شاهدوا اثمار الكرز التي رسمها بدون فرشاة ولكن بثلاثة انابيب الوان احمر وقرمزي وابيض ، صاحوا مشدوهين « ياله من عبقري ! »

ولكن اذا كان دالي لم ينل شهادة فن التصوير من اكاديمية الفنون في مدريد فقد حظي بمعرفة بعض الشباب الذين اصبح لهم شأن في عالم الفنون امثال الشاعر مونتز Montez والمخرج السينمائي لويس بونويل Louis Bunuel والشاعر فريدريكو كارسيا لوركا F.G. Lorca. ان القصيدة التي وضعها لوركا في صديقه دالي تعطينا فكرة عن مدى هذه الصداقة التي ربطت بين هؤلاء والمكانة التي كانت لدالي عند اصدقائه .

اذا كان دالي قد عاد الى « فيغوراس » بدون شهادة ولكن بصداقات جديدة ، فانه عاد بشيء اخر ايضا ... عاد بفكرة الذهاب الى باريس التي سمع عنها الشيء الكثير .

***

كان دالي يريد وضع باريس في الحقيبة على حد تعبيره ، وفي ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ كانت صالة الجومون Goemons في باريس تعج بالرواد الذين جاؤوا لمشاهدة لوحات ذلك الشاب الاسباني سلفادور دالي . وتوقع الزوار ان يروا شيئا من الفن التكعيبي اوالتعبيري او التجريدي ولكن ماراوه لم يكن تعبيريا ولا تكعيبيا ولا تجريديا .. لم يكن جميلا ولم يكن داعيا لسخريتهم . كان ماراوه شيئا مدهشا ومرعبا (٣) لقد وقف رواد المعرض امام « اللباس المتسخ » الذي رسم بطريقة « فوتوغرافية » ولكن بشكل تعبيري غريب في لوحة Jeu lugubre وتملك الرواد الرعب عندما رأو الاسود المخيفة في لوحة Accomodation des désirs ويومها انقسم الجمهور والنقاد الى قسمين « ولا زالوا حتى اليوم » فمنهم من مط الشفاه اشمئزازا او تحسرا على مصير الفن ومنهم من استبشر بميلاد عبقرية جديدة في عالم التصوير ومع ذلك فقد بيعت لوحة Jeu lugubre بعشرة الاف فرنك واصبح اليوم سعرها اثني عشر مليونا ...

ولم يفرح احد بدالي كما فرح السرياليون .. اذ لم تمض ايام حتى اصبح الصديق الحميم لاندره بريتون وبول ايلوار وماكس ارنست وجورج سادول ولويس اراجون : لقد اصبح بامكان السرياليين وضع اعلانهم المشهور في تاريخ السريالية « اعلان استقلال التخيل وحقوق الانسان في الجنون » على حد تعبير دالي نفسه .

وكان دالي لم يكتف بما خلقه من « دهشة ورعب » في نفوس الجمهور الباريسي فاذا به يكتب سيناريو فيلم«الكلب الاندلسي un chien andalou

(٣) Claude Edelmaun : L'Extravagant Monsieur Dali «Lectures pour tous» No. 23 - 1955

هذه ليست « الموناليزا » رائعة « دافنشي » !! ان عيون الموناليزا الساحرة اختفت لتحل محلها عيون دالي ، وشوارب دالي تشغل حيزا كبيرا علىوجه الموناليزا ، والنقود الذهبية شيء جديد في يدي الموناليزا!

*

الذي اخرجه بونويل Bunuel ذلك الفيلم الذي شوه الواقع اليومي بتعبير ميول الفرد المكبوتة (٤) فلم « يكن يقصد فيه الرمز بل كان القصد جمع اشياء وعلامات لا صلة واقعية بينها ولا يجمع بينها العقل الواعي تشبه الى حد بعيد ذلك الذي يشاهده في الاحلام (٥) وكل ليلة خلال الايام التي عرض فيها الفيلم « كان اثنان او ثلاثة من المشاهدين يغمى عليهم في الصالة » (٦)وهم يشاهدون العين المقطوعة بشفرة « جيليت » والحمير الاربعة المستلقية على بيانو !...

ولم يكن حظ الجمهور من فيلم « العصر الذهبي L'Age d'Or الذي اشترك به دالي وبونويل باحسن من حظه في فلم الكلب الاندلسي . ان ماكس ارنست Max Ernest يحصي الصور التي ملكت نفوس المشاهدين الدهشة : « البقرة في السرير ، الاسقف والزرافة القذوفان من النافذة ، العربة تجتاز صالون الحاكم ، وزير الخارجية الملتصق بالسقف بعد انتحاره (٧) .

***

لقد استطاع دالي « ان يتحرر من هم ايجاد اشكال متخذة من العالم

(٤) ايف دوبلسيس : السريالية ، ترجمة بهيج شعبان، ص٨٩ الطبعة الاولى دار بيروت ١٩٥٦ .

(٥) Chris Marker : un chien Andalou (Critique et presentation) Regards neufs sur le cinéma Edit. du Seuil 1955

(٦) André Vigneau : le Cinéma Edit des Lettres française le Caire 1945.

(٧) ا. دوبلسيس : السريالية ، ترجمة شعبان ص : ٩.

العارضـــة

*

الخارجـي » اشكال لايكون « هدفها في ان تسر العيون » بل فـــي ان « تخطو خطوة بمعلوماتنا المجردة » ولكن ردة فعل الفيلم لم تأت هـــذه المرة على الجمهور فقط بل شاركت شاشة العرض فيها اذ تلوثت بالحبر الذي قذفه بعض الرواد عليها .. ومنعت الرقابة الفيلم !

ولكن سريالية دالي لم تطابق تماما سريالية رفاقه الاخرين :

فبينما كانت الروح السريالية عند هؤلاء وسيلة منهجية تقوم باغنـاء الوحي باللاعقلاني فان اللاعقلانية وانعدام الحواس عند دالي تأتي عفويـا من منبعها (٨) وكان مما يقلق الرفاق على دالى هو تقمصه السريالية حتى الجنون ، وهل من جنون اكثر من عارض الضحك بدون سبب الـــذي تملكه ساعات طوالا خلال زيارته مع رفاقه السرياليين لقريته فيفيوراس؟ ان الاطباء يتفقون تماما على ان دالي مصاب بالبرانويا (٩) وكان دالـــي يعرف ذلك تماما فهو لايجد حرجا من كونه مصابا بهذا المرض وكيف يشعر بالحرج وهذا المرض يفيده في الخلق الفني « ان جميع الاطباء متفقـــون على الاعتراف بسرعة حد التصوير التي لاتدرك ، والمألوفة عند المصـاب بالبارانويا ، لانه ، وهو المعتز باسباب واعمال دقة لم يبلغها النـــاس العاديون ، يبلغ تعليلات تستحيل معارضتها في الغالب وتعجز في جميـع الحالات كل تحليل (١٠) ان تعليل دالي هذا يتفق تماما مع رأي « فرويد» عن المرضى المنحرفين الذين من نوع دالي فهم يعرفون الحقيقة اكثر مـن الافراد الطبيعيين اذ يستطيعون ان يكشفوا اشياء لايمكن النفاد اليهـــا بدونهـــم ؟

(٨) Edelmann : Extravagant Mr. Dali

(٩) مرض نفساني يجعل المصاب به يمتاز بالكبرياء والانانية وسرعـة الانفعـال والحـــذر .

(١٠) أ. دوبلسيس : السريالية ، ترجمة شعبان ص : ٤١

ان التعبير السريالي عند دالي لم يقف عند حد التصوير والسيناريو بل انتقل الى تزيين واجهات المحلات في باريس ومما زين به دالي احدى الواجهات انموذج شفاف لامرأة مصنوع من البلاستيك ومملوء بالماء يسبح فيه السمك الاحمـــر !..

واذا كان دالي قد ادهش الجماهير عام ١٩٢٨ فلم تكن دهشتهم اقـل عندما رأوا معروضاته في معرض السرياليين الدولي في باريس سنـــة ١٩٣٨ .

ان « مجسمي » « التاكسي الممطر Le Taxi Pluvieux والعارضة Le Mannequin قد استرعيا اهتمام نقـــاد الفن السريالي . لقد ذهبوا مذاهب عدة في تفسير الاثنتي عشرة ضفدعة المتوجة والمائتي حلزون الملتصقة على رأس وجسد مجسم المرأة راكبـة « التاكسي الممطر !! » وفي تفسير الملاعق الملتصقة على مجسم جسدمعارضة المفطى بصوف احمر والبيضة المكسورة التي انتشرت محتوياتها عليه .(١١)

***

وكان من الطبيعي ان تحتفل نيويورك بدالي كما احتفلت بهباريس! لقد استقبل دالي كما يستقبل نجوم السينما ، وامام عشرات من المصوريـن والصحفيين والمراسلين عرض لوحته العجيبة التي جمعت بين زوجته جالا والكستلاته ! وعندما سئل عن سبب هذا الدمج اجاب : « انني احـــب الكستلاته واحب زوجتي ولا ادري لماذا لاصورهما معا ! »

قد يتفق جواب دالي مع عقلية بعض الصحفيين الذين سالوه هـــذا السؤال الغريب ولكن بدون شك كان دالي يستطيع ان يجيبهم بجملـة اراغون : « ان عزو معنى مختلق ومحير للاشياء ليس لعبا ولكنه موقـف فلسفي ! » وكان يستطيع ان لايكلفهم مؤونة التفكير كثيرا بالجواب عندما يجيبهم بتعليل ايلوار « كل شيء قابل للمقارنة بكل شيء ، وكل شـــيء يجد صداه ، وصوابه ، وشبهه ، ونقيضه ، وصيرورته في كل مكـــان وهـذه الصيرورة هـي لا متناهيـة » .

(١١) Gorge Huguet : l'Exposition internationale du surréalisme, Preuves No. 91 Sept. 1958

التاكسي الممطـر

وفي نيويورك اقام دالي معرضا قدم فيه احدث لوحاته مثل « كابوس الكمنجات المائعة » Cauchemar des violoncelles mous

و « نهاية ايلول » A la fin de septembre ان اللوحات التي يرسمها دالي اصبحت تدر عليه الملايين . لقد اخذ مليونين وخمسمائة الف فرنك ثمنا للوحة رسمها « لوليام وداورد » رغما عن ان صاحبها انزعج بعد ان قابلها مع هيئته وشكله ... ولم يكن مادفعه ودوارد اقل مما دفعه « جروشو ماركس » و « هيلانة روبنشتاين » و « ليدي مونتباتن » ثمنا لصورهم .

ان دالي يرى ان « السريالية الة من الدرجة الاولى من نوع الاسلوب البارانوى ـ النقدي الذي اظهر دفعة وحدة انه جدير بان يطبق بلا تمييز على التصوير ، والشعر ، والسينما ، وبناء الاشياء السريالية النموذجية ، والموضة ، والنحت وتاريخ الفن وعلى كل نوع من التأويل عند اللزوم (١٢) لذلك لم يكن عجيبا ان (ينفذ) دالي الاسلوب السريالي في صناعة الحلي ، كما نفذه في التصوير والسيناريو وتزيين الواجهات. لقد اشترك مع الجواهرجية « ارتمان والماني » Artman & Almany في صنع حلى سريالية من الذهب والزمرد والماس على شكل ايادي بشرية ذات عروق نباتية ..وساهم دالي في فيلم « الفرد هتشكوك » بيت الدكتور ادوارد » اذ قام بالزخرفة Decoration كذلك انشا جريدة لاخباره ونشر الاعلانات على الطريقة السريالية Dali Nwes كانت توزع سبعين الف نسخة يوميا ! (١٣)

في سنة ١٩٥١ اعلن دالي في احد نوادي لندن عودته الى الكلاسيكية. فهي لا تكلفه اي جهد . ان الشخصيات والاشياء والرموز التي تظهر في لوحات دالي السريالية تمتاز بالدقة الفوتوغرافية وانسجام التكوين وصفاء اللون . ان لوحتي Narcisse, les trois sphinx de Pilisini

رغم احتوائهما على مايمكن تسميته بخداع البصر والاشياء غير المعقولة تبينان الى اي مدى يمكن ان يكون دالي ذلك الفنان الكلاسيكي المتمكن من فنه .

ولكن اذا كان رفاق دالي القدامى امثال اراجون وايلوار وسادول قد اتجهوا ـ حيث استقروا ـ الى الماركسية فان دالي سرعان ما انقلب على الكلاسيكية « الصوفية » التي وعد بها ! وبعد ان صرح بان الفن الحديث يجب ان يكون مسيحيا ، قدم للبابا بيوس الثاني عشر لوحته « المسيحية والذرية » L'Immaculée Conception التي سرعان ماعلق عليها بقوله « لم ار في حياتي ابدا شيئا شبيها لهذا » .

***

سيظل النقاد ، ولفترة طويلة من الزمن ، مؤيدين او مخالفين لدالي ، ولكنهم جميعهم متفقون على ان ظهور « سلفادور دالي » وفن « سلفادور دالي » والكثيرين من امثال « سلفادور دالي » كان امرا حتميا لابد منه في المجتمع الغربي القلق .

فاروق سعد

---

(١٢) أ. دوبلسيس : السريالية ، ترجمة شعبان ، ص : ٤٦

(١٣) Edelmann : Extravagant Mr. Dali

منشورات

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت ـ ص.ب ٣١٢٦ ـ تلفون : ٢٧٩٨٣

سلسلة الجديد في القراءة العربية

جزءان لروضة الاطفال

خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي :

أربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة القواعد العربية الجديدة :

أربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

أربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة :

خمسة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

الجديد في الجغرافيا :

أربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

أربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة التاريخ الجديد :

ثمانية أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والتكميلي

(الشهادة الابتدائية والتكميلية)

سلسلة الحساب الجديد :

سبعة أجزاء لمرحلة التعليم البتدائي (الشهادة الابتدائية)

لمرحلة التعليم التكميلية (شهادة البريفه) :

Physique, Chimie, Algèbre, Géometrie.

Sciences Naturelles

أربعة أجزاء للصفوف التكميلية

الجديد في البحث الادبي

(لمنهج البكالوريا)

أبن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره (لمنهج البكالوريا)

Mon Nouveau livre de Grammaire

ثمانية أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والعالي

(الشهادة الابتدائية والتكملية)

Mon Nouveau livre de Lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة ـ خمسة اجزاء لمرحلة التعلم الابتدائي

(الشهادة الابتدائية)

أربعة أجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكملية)

The New Direct English Course

احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية :

جزءان لمرحلة الروضة

أربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية

في ثلاثة اجزاء

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية

Dictée Choisies

حساب ، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافية ، املاء فرنسي ،

املاء انكليزي .